

الأسس الأخلاقية والمعرفية لثقافة الاعتذار في الفكر الإسلامي دراسة فلسفية تحليلية

فتحية الطاهر الشيباني بيدق

مساعد محاضر / كلية الآداب / قسم الفلسفة - جامعة الزاوية - ليبيا

f.beedig@zu.edu.ly

<https://orcid.org/0009-0002-2059-8524>

المستخلص:

يتناول البحث ثقافة الاعتذار بوصفها قضية فلسفية تتقاطع فيها الأخلاق والمعرفة والمسؤولية، لا بوصفها مجرد صيغة لغوية أو سلوك اجتماعي عابر. ويهدف إلى الكشف عن الأسس التي تجعل الاعتراف بالخطأ فعلاً أخلاقياً يقوم على الوعي بالمسؤولية واحترام الآخر، وفعلاً معرفياً يفترض مراجعة الحكم وتصحيح صورة الذات عن نفسها. واعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، مع الإفادة من المقارنة، من خلال قراءة نماذج من التراث الأخلاقي الإسلامي ومقارنتها ببعض التصورات الفلسفية المعاصرة للاعتذار والتسامح. وتوصل إلى أن الاعتذار الصادق يجمع بين الاعتراف بالخطأ وتحمل المسؤولية والندم وإصلاح الضرر؛ وأن قيمته تتراجع متى تحول إلى تبرير أو أداة لحماية الصورة الذاتية. ويخلص البحث إلى أن ترسيخ ثقافة الاعتذار يقتضي تربية الضمير النقدي، وربط الكرامة بالقدرة على تصحيح الخطأ لا بإنكاره.

الكلمات المفتاحية: الاعتذار، الأخلاق، المعرفة، المسؤولية، الاعتراف، التسامح، الفكر الإسلامي.

The Ethical and Epistemological Foundations of a Culture of Apology in Islamic Thought: A Philosophical-Analytical Study

Fathia Al-Tahir Al-Shaibani Beedig

Assistant Lecturer | Faculty of Arts | Department of Philosophy
University of Zawia – Libya

f.beedig@zu.edu.ly

<https://orcid.org/0009-0002-2059-8524>

Abstract:

This study examines the culture of apology as a philosophical issue in which ethics, knowledge, and responsibility intersect, rather than as a merely linguistic formula or social courtesy. It seeks to identify the ethical foundations of acknowledging wrongdoing and respecting the other, as well as the epistemic foundations involved in revising judgment and correcting one's self-understanding. Using an analytical-critical method with a comparative dimension, the study reads selected works from the Islamic ethical tradition alongside contemporary philosophical accounts of apology and forgiveness. It argues that a genuine apology combines acknowledgment of wrongdoing, responsibility, remorse, and reparation, whereas its moral value diminishes when it becomes justification or image management. The study concludes that a culture of apology requires cultivating a critical conscience and redefining dignity as the capacity to correct error rather than deny it.

Keywords: Apology, Ethics, Knowledge, Responsibility, Recognition, Forgiveness, Islamic Thought.

المقدمة:

تُعَدُّ الأخلاق أحد الحقول المركزية في الفلسفة؛ لأنها تبحث في معنى الفعل الإنساني ومعاييره، وعلاقة الحرية بالمسؤولية، وقدرة الإنسان على مراجعة ذاته حين يتبين له أن فعله ألحق أذى بالآخر. ولا يظهر الاعتذار، من هذه الزاوية، بوصفه لفظاً من ألفاظ المجاملة،

بل بوصفه موقفاً أخلاقياً يكشف عن تصور الإنسان لذاته وللغير وللحقيقة. فالإنسان الذي يعتذر يعترف أولاً بأن حكمه أو فعله لم يكن معصوماً من الخطأ، ويقبل ثانياً أن للآخر حقاً أخلاقياً في الاعتراف بما وقع عليه، ثم يفتح ثالثاً إمكان إصلاح العلاقة على أساس جديد. تتأكد أهمية الاعتذار في الفكر الإسلامي؛ لأن الخطأ لا يُقرأ من جهة أثره الخارجي فحسب، بل من جهة علاقته بالقصد والضمير والتوبة والعدل وردّ الحقوق. وقد قدم محمد عبد الله دراز تصوراً أخلاقياً يربط المسؤولية بالفعل الشخصي وبشروط الإدراك والاختيار، بما يجعل مراجعة الفعل جزءاً من البناء الأخلاقي للإنسان (دراز، 1998، ص 242-256). وربط الراغب الأصفهاني تهذيب الأخلاق بمقاومة الكبر وبالعدل والتوبة والعفو؛ وهي مفاهيم تضع الاعتذار داخل شبكة من الفضائل، لا باعتباره فعلاً منفصلاً عنها (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 311-318؛ 352-354).

اتسع النقاش في الفلسفة المعاصرة حول الاعتذار ليشمل الاعتراف بالمسؤولية، وإصلاح الضرر، واستعادة مكانة المتضرر، والعلاقة بين الاعتذار والتسامح. ويبين لازار أن الاعتذار المؤثر لا يكفي بالتعبير عن الأسف، بل يقوم على الاعتراف بالإساءة وتفسيرها من دون التوصل من المسؤولية، وإظهار الندم، والسعي إلى نوع من الإصلاح (Lazare, 1975-107, pp. 75-107). ويربط غريسولد، من منظور فلسفي، الاعتذار بالتغير الأخلاقي والندم وإمكان المصالحة، مع التنبيه إلى أن التسامح ليس نتيجة آلية لكل اعتذار (Griswold, 2007, pp. 47-69).

يحاول البحث، انطلاقاً من هذا الأساس، نقل موضوع الاعتذار من المجال الوعظي الخالص إلى مجال التحليل الفلسفي؛ بحيث يُفهم بوصفه اختباراً لصدق الوعي الأخلاقي والمعرفي معاً. وتكمن القيمة الفلسفية للاعتذار في كونه لحظة يراجع فيها الإنسان دعواه عن نفسه، ويقرّ بحدود معرفته، ويتحمل نتائج حريته، ويعيد الاعتبار للآخر بوصفه ذاتاً لها كرامة وحق في الإنصاف.

مشكلة البحث:

تتبع مشكلة البحث من وجود فجوة بين الحضور القيمي الواسع للاعتذار في الثقافة الإسلامية وبين ضمور ممارسته أحياناً في المجالين الفردي والعام. كما أن كثيراً من المعالجات السابقة ركزت على التأصيل النصي، أو الجانب التربوي، أو التداولي، من دون أن تجعل الاعتذار موضوعاً فلسفياً قائماً على تحليل العلاقة بين المعرفة والأخلاق والمسؤولية. ويظهر الإشكال بصورة أوضح عند السؤال عن الفرق بين الاعتذار الذي يعبر عن مراجعة حقيقية للذات والاعتذار الذي لا يتجاوز تبريراً لغوياً أو إدارة للصورة الاجتماعية؛ فليست كل صيغة اعتذار دليلاً على تحمل المسؤولية، كما أن الاعتراف بالخطأ لا يعني إلغاء الكرامة أو التنازل عن الحق. لذلك تتحدد المشكلة في الكشف عن الأسس الأخلاقية والمعرفية التي تمنح الاعتذار قيمته في الفكر الإسلامي، وبيان أثرها في بناء ثقافة معاصرة تتجاوز ثنائية الكبرياء والضعف.

تساؤلات البحث:

ينطلق البحث من التساؤل الرئيس الآتي: ما الأسس الأخلاقية والمعرفية التي تقوم عليها ثقافة الاعتذار في الفكر الإسلامي، وكيف يمكن تحليلها فلسفياً بما يوضح علاقتها بالمسؤولية والاعتراف بالخطأ والتسامح وإصلاح الضرر؟ ويتفرع عن هذا التساؤل ثلاثة أسئلة: ما الدلالة الفلسفية لمفهوم الاعتذار وعلاقته بالمفاهيم المجاورة؟ وكيف تتأسس قيمة الاعتذار في منظومة الأخلاق والمعرفة في الفكر الإسلامي؟ وما الأبعاد الإنسانية والحضارية التي يمكن أن تقدمها ثقافة الاعتذار في الواقع المعاصر؟

أهمية البحث:

1. تتبع الأهمية النظرية من معالجة الاعتذار داخل حقل الفلسفة الأخلاقية؛ بما يسمح بالانتقال من وصف السلوك إلى تحليل شروطه ومعايير ودلالاته في بناء الذات والمسؤولية.

2. تتمثل الأهمية المعرفية في إبراز أن الاعتذار يفترض إمكان الخطأ في الحكم وإعادة النظر فيه؛ ومن ثم يتصل بفضايا معرفية مثل التواضع الفكري، ونقد الذات، والاستعداد لتصحيح الموقف.
3. تتصل الأهمية الحضارية بإمكان توظيف ثقافة الاعتذار في ترميم العلاقات الاجتماعية والمؤسسية، شريطة ألا تكون بديلاً عن العدالة ورد الحقوق، بل ممدلاً أخلاقياً داعماً لهما.

أهداف البحث:

1. تحليل مفهوم الاعتذار تحليلاً فلسفياً يميز بين الاعتذار والتبرير والتوبة والعفو والتسامح.
2. الكشف عن الأسس الأخلاقية للاعتذار في الفكر الإسلامي، ولا سيما المسؤولية والتواضع والعدل واحترام الآخر.
3. بيان الأساس المعرفي للاعتذار من خلال الوعي بإمكان الخطأ ومراجعة الأحكام ونقد الذات.
4. تحليل القيمة الإنسانية والحضارية للاعتذار وعلاقته بإصلاح الضرر والمصالحة دون إلغاء حق المتضرر.

مصطلحات البحث:

الاعتذار: يدل الجذر اللغوي «عذر» على الحجة التي يُعْتَذَرُ بها والخروج من الذنب، وقد يكون المعتذر محقاً أو غير محق بحسب صدق العذر واتصاله بالفعل (ابن منظور، د.ت، ج4، ص 545). ويُقصد به فلسفياً في هذا البحث فعل أخلاقي وإعٍ يعترف فيه الشخص بخطأ أو ضرر منسوب إليه، ويتحمل مسؤوليته، ويعبّر عن الندم والاستعداد للإصلاح، من دون تحويل الاعتذار إلى تبرير يلغي حق الآخر.

ثقافة الاعتذار: هي منظومة من القيم والتصورات والممارسات التي تجعل الاعتراف بالخطأ ومراجعة الذات وإصلاح الضرر سلوكاً مشروعاً ومقبولاً اجتماعياً. ولا تعني كثرة استعمال كلمة «آسف»، بل وجود معيار أخلاقي يربط الاعتذار بالصدق والمسؤولية والعدل. **الأسس الأخلاقية:** يُقصد بها المبادئ المعيارية التي تحدد قيمة الفعل ووجهته، مثل المسؤولية والعدل والصدق والتواضع واحترام الكرامة. ويؤكد التحليل الفلسفي للقيم أن القيمة الأخلاقية لا تنفصل عن معيار يحكم الفعل بوصفه خيراً أو واجباً أو جديراً بالتقدير (صليباً، 1982، ج2، ص 213).

الأسس المعرفية: هي الشروط المتعلقة بالإدراك والحكم والمعرفة التي تسبق الاعتذار؛ وفي مقدمتها الاعتراف بإمكان الخطأ، والقدرة على مراجعة الأسباب والأدلة، والتمييز بين تفسير الفعل وتبريره، وقبول تصحيح التصور الذاتي.

الفكر الإسلامي: يُستخدم المصطلح هنا للدلالة على النتائج العقلي والأخلاقي الذي تشكل في المجال الحضاري الإسلامي من خلال التفاعل بين النص الديني والاجتهاد الفلسفي والكلامي والأخلاقي، وليس مرادفاً لفقّه وحده. وتُقرأ نصوص الأخلاق، وفق هذا المنظور، بوصفها محاولات لبناء الإنسان الفاضل وتنظيم علاقته بذاته وبالأخرين.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي بوصفه الأنسب لدراسة المفاهيم الفلسفية وتفكيك العلاقات بينها؛ وذلك من خلال تحليل مفهوم الاعتذار ومكوناته الأخلاقية والمعرفية، ونقد صور الاعتذار الناقصة أو الزائفة. واستفاد كذلك من المنهج المقارن في مواضع محددة لمقابلة بعض تصورات الأخلاق الإسلامية بتصورات فلسفية حديثة حول الاعتذار والتسامح، من غير افتراض التطابق بين السياقات. ويُستخدم الاستقراء بصورة مساندة عند جمع الدلالات والنماذج من مصادر الفكر الإسلامي والدراسات الحديثة، ثم إعادة تنظيمها ضمن إطار فلسفي موحد.

الدراسات السابقة:

دراسة عبيدات (2015) بعنوان «الاعتذار في القرآن الكريم: دراسة موضوعية»، وهي رسالة دكتوراه بجامعة اليرموك، عالجت الدلالة اللغوية والاصطلاحية للاعتذار، وصوره في السياق القرآني، ومجالاته العقيدية والتشريعية والتربوية. وتقيد الدراسة الحالية من ضبط المفهوم ومادته القرآنية؛ لكنها تختلف عنها في جعل السؤال الأخلاقي والمعرفي محورياً للتحليل الفلسفي، لا مجرد جمع للمواضع الموضوعية (عبيدات، 2015، ص 1-145).

دراسة الخميس (2016) بعنوان «الاعتذار في القرآن الكريم: دراسة موضوعية»، وهي رسالة ماجستير بجامعة القصيم، تناولت استعمالات الاعتذار وأنواعه وأسباب قبوله وآثاره ونماذج المعتذرين في القرآن. وتتمثل أهميتها في إظهار تنوع السياقات التي يرد فيها الاعتذار؛ بينما يتجه البحث الحالي إلى تحليل المعيار الذي يميز الاعتذار الأخلاقي عن التبرير وإدارة الصورة الذاتية (الخميس، 2016، ص 1-284).

دراسة القرعان (2017) بعنوان «الاعتذار في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية»، وهي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية في غزة، تناولت الأحاديث والآثار المرتبطة بالاعتذار وأساليبه ودوافعه وآثاره. وتؤكد الدراسة أن الاعتذار قيمة سلوكية ذات آثار فردية واجتماعية؛ بينما يركز البحث الحالي على الأسس الفلسفية التي تجعل الاعتذار مسؤولية أخلاقية ومعرفية (القرعان، 2017، ص 1-274).

دراسة الحمدان (2021) بعنوان «الاعتذار في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية»، المنشورة في مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، بحثت دوافع الاعتذار وأساليبه وثمراته وآثار تركه، واعتمدت المنهج الاستقرائي التحليلي. وتقيد نتائجها في تأكيد الصلة بين الاعتذار والتواضع والمودة؛ غير أن الدراسة الحالية توسع المجال نحو علاقة الاعتذار بالاعتراف بالخطأ ونظرية المسؤولية (الحمدان، 2021، ص 139-186).

دراسة البلداوي وعبد (2022) بعنوان «الاعتذار فعلاً إنجليزياً: دراسة تداولية في استراتيجيات الاعتذار الضمني في الخطاب القرآني»، وقد ركزت على الاعتذار بوصفه فعلاً كلامياً، وكشفت عن استراتيجيات مثل التبرير وتقديم الحجة وطلب التسامح وتحمل

المسؤولية. وتستفيد الدراسة الحالية من هذا التفريق؛ لكنها تتقل مركز التحليل من البنية التداولية للخطاب إلى القيمة الأخلاقية والمعرفية للفعل (البلداوي وعبد، 2022، ص 36-52).

دراسة خضري (2023) بعنوان «قيم الاعتذار في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية»، وهدفت إلى استنباط قيم الاعتذار وربطها بالتطبيقات الأسرية والتربوية. وتلتقي مع البحث الحالي في الاهتمام بالبعد القيمي؛ إلا أن البحث الحالي يتجه إلى بناء قراءة فلسفية تفسر الاعتذار من خلال المسؤولية والتواضع المعرفي والعدالة والمصالحة (خضري، 2023، ص 35-53).

تكشف مراجعة هذه الدراسات أن أغلبها اتجه إلى التأصيل القرآني والحديثي، أو إلى التحليل التداولي والتطبيقات التربوية؛ وهو ما ترك مساحة محدودة لتحليل الاعتذار بوصفه سؤالاً في فلسفة الأخلاق ونظرية المعرفة معاً. وتتمثل الإضافة التي يسعى إليها البحث في بناء صلة منهجية بين الاعتراف بالخطأ والمسؤولية الأخلاقية، وبين مراجعة الحكم والتواضع المعرفي، ثم بيان أثر ذلك في المصالحة وإصلاح الضرر. وتمنح هذه الفجوة موضوع البحث خصوصيته داخل قسم الفلسفة؛ لأن المقصود ليس جمع النصوص المتعلقة بالاعتذار، بقدر ما هو تفسير البنية الفلسفية التي تجعل منه فعلاً ذا قيمة.

تقسيمات البحث:

جاء البحث، بعد الإطار المنهجي، في ثلاثة مباحث مترابطة: يتناول المبحث الأول الإطار المفاهيمي والفلسفي لثقافة الاعتذار من خلال مفهوم الاعتذار والوعي بالخطأ وعلاقته بالمفاهيم المجاورة. ويبحث المبحث الثاني في الأسس الأخلاقية والمعرفية للاعتذار في الفكر الإسلامي، مركزاً على المسؤولية والتواضع المعرفي والحرية والكرامة. ويعالج المبحث الثالث الأبعاد الإنسانية والحضارية للاعتذار، وصلته بالتسامح وإصلاح الضرر والمجال العام ومعوقات ترسيخه في الواقع المعاصر. وينتهي البحث بخاتمة ونتائج مركزة وثلاث توصيات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والفلسفي لثقافة الاعتذار

لا يمكن بناء تصور فلسفي للاعتذار من دون تحرير مفهومه وتمييزه عن الألفاظ القريبة منه. فالفلسفة الأخلاقية لا تكتفي بالسؤال عما نقوله عندما نخطئ، بل تتجه إلى مساءلة معنى اعتراف الفاعل بخطئه، وما الذي يتغير في علاقته بذاته وبالأخر عندما يفعل ذلك. ويستلزم الانتقال من اللغة إلى المعنى تحليل بنية الاعتذار بوصفه فعلاً مركباً يجمع المعرفة والقيمة والالتزام.

أولاً: مفهوم الاعتذار ودلالاته الفلسفية

يدل الاعتذار في أصل اللغة على إبداء العذر وطلب قبول المعذرة، ويكشف التراث اللغوي عن احتمالين مهمين: فقد يكون العذر صادقاً يرفع اللوم أو يخففه، وقد يكون مجرد حجة يدفع بها الفاعل عن نفسه تبعة الفعل (ابن منظور، د.ت، ج4، ص 545). وتحمل هذه الازدواجية اللغوية دلالة فلسفية؛ لأنها تجعل الاعتذار واقعاً بين الاعتراف والتبرير. فإذا كان المتكلم يقر بالفعل ويقبل مسؤوليته عنه، فإنه يفتح باباً أخلاقياً للمراجعة؛ أما إذا استخدم «العذر» لنقل المسؤولية بالكامل إلى الظروف أو إلى المتضرر، فقد يتحول الخطاب إلى دفاع عن الذات لا إلى اعتذار.

يقتضي الاعتذار الكامل وجود فاعل يعرف أن فعله أخلّ بمعيار أخلاقي أو ألحق ضرراً بغيره، ومتضرر له مكانة أخلاقية مستقلة، وعلاقة سابقة أو ممكنة يمكن إصلاحها. لذلك لا تساوي عبارة الأسف وحدها الاعتذار؛ فقد يأسف الإنسان لنتيجة حدثت من دون أن يقبل مسؤوليته عنها. ويبين نيك سميث أن الاعتذار الأخلاقي القوي يتطلب تثبيت الوقائع، والاعتراف باللوم، وتحديد الضرر، واحترام المتضرر بوصفه محاوراً أخلاقياً، ثم إظهار الاستعداد للإصلاح. (Smith, 2008, pp. 28–107).

لا ينفصل الاعتذار في الفكر الإسلامي عن مفهوم تهذيب النفس. فالراغب الأصفهاني يضع «العذر والتوبة» في سياق معالجة القوى الغضبية، ويتبعهما بالحلم والعفو؛ بما يدل على أن الاعتذار ليس إجراءً لفظياً، بل انتقال من الانفعال الذي يدافع عن الأنا إلى موقف يراجعها ويعيد ضبطها (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 354–352). ويسمح تعريف

التواضع عنده، بوصفه موقفاً وسطاً بين الكبر والضعفة، بفهم الاعتذار بعيداً عن تصور أنه إذلال للنفس؛ إذ إن التواضع لا يهدر القيمة الذاتية، وإنما يمنع تضخيمها فوق قدرها (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 311-318).

تتجلى الدلالة الفلسفية للاعتذار في إعادة ترتيب العلاقة بين «الصورة الذاتية» و«الحقيقة الأخلاقية». فقد يرغب الشخص في الحفاظ على صورة العصمة أو القوة؛ لكن الاعتذار يقتضي تقديم الحقيقة الأخلاقية على هذه الصورة. وبذلك يصبح الاعتذار تدريباً على ألا يكون حفظ الهيبة أهم من حفظ الحق، وألا تتحول الكرامة إلى غطاء يمنع مراجعة الذات. وترى الباحثة أن أدق تعريف للاعتذار هو أنه «اعتراف مسؤول»؛ فهو اعتراف لأن الفاعل يقر بوجود خطأ أو ضرر، ومسؤول لأنه لا يكتفي بوصف ما وقع، بل يقبل نسبته إليه ضمن حدود حريته وقدرته، ويتجه إلى تصحيحه. ويخرج هذا التعريف الاعتذار من دائرة المجاملة إلى دائرة الفعل الأخلاقي الذي يمكن الحكم على صدقه من خلال ما يترتب عليه.

ثانياً: الاعتذار بين الوعي بالخطأ والمسؤولية الأخلاقية

تمثل المسؤولية شرطاً سابقاً على الاعتذار؛ إذ لا معنى لأن يعتذر شخص عن فعل لا يراه منسوباً إليه بأي وجه. ويحلل دراز فكرة المسؤولية الأخلاقية باعتبارها مسؤولية شخصية ترتبط بالإدراك والاختيار والقدرة، ويبين أن نسبة الفعل إلى صاحبه ليست مجرد نسبة مادية، وإنما تتصل بشروط الفاعلية الواعية (دراز، 1998، ص 242-256). لذلك يتطلب الاعتذار تقديراً عقلياً لمقدار ما يعود إلى الذات من الفعل ومقدار ما يعود إلى ظروف خارجة عن الإرادة.

تنشأ المشكلة حين يختلط «تفسير» الخطأ بتبريره، فالتفسير يوضح السياق والأسباب، وقد يساعد المتضرر على فهم ما حدث، لكنه لا يلغي المسؤولية بالضرورة؛ أما التبرير فيسعى إلى إثبات أن الفعل لم يكن خاطئاً أو أن الفاعل لا يتحمل تبعته. وقد أشار لازار إلى أن الشرح يكون جزءاً مفيداً من الاعتذار حين يوضح الملابسات من غير أن يمحو الاعتراف بالإساءة أو يحول اللوم إلى المتضرر. (Lazare, 2004, pp. 107-133)

يظهر الندم في هذا السياق بوصفه رابطاً بين المعرفة والفعل. فالندم ليس ألماً نفسياً عابراً، وإنما إدراك قيمي بأن ما وقع كان ينبغي ألا يقع. وقد قدم ابن مسكويه تحليلاً دقيقاً لحالة الإنسان الذي يندفع وراء الغضب أو الشهوة ثم «يراجع عقله»، فيرى قبح ما فعل ويلحقه الندم؛ ويكشف هذا التحليل عن وظيفة العقل الأخلاقي في إعادة تقويم الفعل بعد انحسار الانفعال (ابن مسكويه، 1985، ص 24).

يؤدي هذا الوعي إلى تحول في الموقف؛ من الدفاع عن الفعل إلى مساءلته، ومن حماية الذات من اللوم إلى حماية المعيار الأخلاقي من التلاعب. ويكون الاعتذار علامة على نضج المسؤولية عندما يصرح الفاعل بما أخطأ فيه تحديداً، ويتجنب اللغة المبهمة من قبيل «إن كنت قد أسأت» إذا كان الضرر واضحاً وثابتاً؛ لأن هذه الصياغة قد تنقل الشك من الفعل إلى تجربة المتضرر نفسه.

يتضح أن الاعتذار لا يكتمل بمجرد الاعتراف التاريخي بأن حدثاً وقع، بل يتطلب حكماً أخلاقياً على الحدث ونسبة مسؤولية إلى الفاعل. ولهذا فإن ثقافة الاعتذار هي، في جوهرها، ثقافة مسؤولية؛ تعترف بأن الحرية تمنح الإنسان قدرة على البدء بالفعل، لكنها تجعله أيضاً ملزماً بمراجعة آثاره حين تصيب الغير.

ثالثاً: الاعتذار وعلاقته بالتوبة والعفو والتسامح والاعتراف

يتقاطع الاعتذار مع التوبة، لكنه لا يطابقها. فالتوبة في المجال الديني أوسع من الاعتذار بين الأشخاص؛ لأنها تتعلق بعلاقة الإنسان بالله وبمراجعته لمساره الأخلاقي كله، في حين يتركز الاعتذار عادة على فعل محدد أصاب الغير. ويلتقي المفهومان، رغم هذا الاختلاف، في عناصر جوهرية هي الاعتراف بالخطأ، والندم، والعزم على عدم التكرار، وإصلاح ما يمكن إصلاحه. ويبرز الراغب الأصفهاني هذا الاتصال حين يجمع بين «العذر والتوبة» في سياق واحد، ثم يربطهما بالعفو والحلم (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 352-354).

يختلف الاعتذار عن العفو؛ فالعفو فعل يصدر من المتضرر، بينما الاعتذار فعل يصدر من المخطئ أو ممن يتحمل مسؤولية الضرر. ولا يملك المعتذر أن يفرض العفو بوصفه حقاً له؛ لأن ذلك يحول الاعتذار إلى وسيلة ضغط جديدة على المتضرر. ويميز غريسولد

بين الاعتذار والمغفرة والمصالحة؛ فقد يمهّد الاعتذار للمغفرة، لكن قبول الاعتذار أو استعادة العلاقة يظان فعلين مستقلين يخضعان لشروط أخلاقية أخرى (Griswold, 2007, pp. 59–90).

يتسع مفهوم التسامح عن العفو الفردي؛ إذ قد يدل على استعداد للعيش مع الاختلاف أو تخفيف منطق الانتقام. وتوضح حنة أرنت أن فعل الغفران يواجه مشكلة «لا رجعة الفعل»؛ فالإنسان لا يستطيع إلغاء ما حدث، لكنه يستطيع أن يمنع الخطأ من أن يحبس الفاعل والمتضرر إلى الأبد داخل سلسلة آثاره، ولذلك جعلت القدرة على الغفران إحدى إمكانيات الفعل التي تفتح بداية جديدة (Arendt, 1998, pp. 236–241) ولا يعني ذلك إلغاء المحاسبة، بل منع الماضي من أن يصبح قدراً مغلقاً لا يمكن تجاوزه.

يكتسب مفهوم «الاعتراف» أهمية خاصة؛ لأن الاعتذار لا يعترف بالفعل وحده، بل يعترف أيضاً بالآخر. فحين أقول إنني أخطأت بحق شخص ما، فإنني أقر ضمناً بأن مشاعره وحقوقه وكرامته ليست تفصيلاً تابعاً لرؤيتي أنا. ولهذا يُعد الاعتذار ضرباً من إعادة الاعتبار الرمزي للمتضرر قبل أن يكون طلباً للراحة النفسية للمعتذر.

وتؤكد الباحثة، في ضوء هذا التمييز، ضرورة الحفاظ على الحدود الفاصلة بين المفاهيم لمنع إساءة استعمالها؛ فالتوبة لا تغني عن رد حقوق الناس، والاعتذار لا يُلزم المتضرر بالتسامح، والتسامح لا يعني نسيان الحقيقة، والمصالحة لا تكون أخلاقية إذا بُنيت على إنكار الضرر. ويكتسب الاعتذار قيمته حين يعمل داخل هذه الحدود بوصفه بداية لتحمل المسؤولية، لا نهاية لها.

المبحث الثاني: الأسس الأخلاقية والمعرفية للاعتذار في الفكر الإسلامي

تظهر خصوصية الاعتذار في الفكر الإسلامي حين يُقرأ ضمن بنية أخلاقية تجعل الإنسان مسؤولاً عن عمله، وقادراً على تهذيب نفسه، ومطالباً بالعدل ورد الحقوق. ولا يقتصر هذا البناء على المعيار الأخلاقي؛ فهو يفترض أيضاً تصوراً معرفياً يعترف بحدود الحكم الإنساني، وإمكان الخطأ، وضرورة المراجعة. وهكذا تتكامل الأخلاق والمعرفة في الاعتذار؛ فمعرفة الخطأ تفتح باب المسؤولية، والمسؤولية تحول المعرفة إلى التزام عملي.

أولاً: الأساس الأخلاقي: الفضيلة والمسؤولية واحترام الآخر

يرتكز الأساس الأخلاقي للاعتذار على أن الإنسان ليس كائنًا محكومًا بدوافعه فقط، بل فاعلاً قادراً على تقويم أفعاله وفق معايير تتجاوز المصلحة الآنية. وقد جعلت فلسفة الأخلاق الإسلامية من تهذيب النفس مشروعاً لتكوين ملكات تجعل الفعل الحسن أكثر رسوخاً واستقراراً، لا مجرد استجابة عارضة. ويذهب ابن مسكويه في افتتاح مشروعه الأخلاقي إلى أن الغاية هي تحصيل خلق تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة؛ أي تحويل الخير من أمر مفروض من الخارج إلى هيئة مستقرة في الذات (ابن مسكويه، 1985، ص 4-3)

يصبح الاعتذار، في هذا الإطار، جزءاً من تربية الفضيلة؛ لأنه يتطلب الصدق والتواضع والشجاعة والعدل في وقت واحد. فالصدق يمنع إنكار الخطأ، والتواضع يمنع الكبر من تعطيل المراجعة، والشجاعة تساعد على مواجهة ما يترتب على الاعتراف، والعدل يقتضي إعادة الحق إلى صاحبه. ولذلك لا يصح اختزال الاعتذار في «لين» الشخصية؛ فقد يكون الاعتذار أكثر صعوبة من المكابرة، لأنه يواجه مصلحة الأنا في حماية صورتها. أبرز طه عبد الرحمن مركزية الأخلاق في تعريف الإنسان ونقد اختزال الفعل في العقلانية المجردة، وربط إمكان التجديد الأخلاقي باستعادة الصلة بين الممارسة والقيمة (عبد الرحمن، 2000، ص 59-73). ويتيح هذا التصور قراءة الاعتذار باعتباره عملاً يختبر صدق القيمة؛ فالشخص الذي يعلن احترامه للحق لا يثبت ذلك في حال موافقته له فقط، وإنما حين يكتشف أن الحق يقتضي منه التراجع عن موقف سابق.

ويوسع الجابري، في مستوى مواز، مفهوم نظام القيم ليشمل معايير السلوك الفردي والاجتماعي والسياسي، لا مجرد الخصال الشخصية (الجابري، 2001، ص 20-21؛ 56). ويمكن بذلك فهم ثقافة الاعتذار بوصفها مكوناً في النظام القيمي للمجتمع؛ فإذا كانت المكانة الاجتماعية تقوم على العصمة المتخيلة ورفض الاعتراف بالخطأ، يصبح الاعتذار مكلفاً رمزياً، أما إذا قامت المكانة على المسؤولية والقدرة على التصحيح، صار الاعتذار دليلاً على الجدارة لا نقصاً فيها.

يتضح للباحثة أن الأساس الأخلاقي للاعتذار لا يقوم على خفض الذات، بل على وضعها في موقعها الصحيح ضمن علاقة متبادلة مع الآخرين. فكرامة المعتذر لا تُصان بإنكار حق الغير، وكرامة المتضرر لا تُستعاد بمجرد الكلمات، وإنما باعتراف يترجم إلى فعل إصلاحي. وبذلك يجمع الاعتذار بين فضيلة الذات وعدالة العلاقة.

ثانياً: الأساس المعرفي: إمكان الخطأ ونقد الذات وتصحيح الحكم

يتضمن كل اعتذار جاد حكماً معرفياً جديداً مؤداه: «ما فعلته أو قلته لم يكن صائباً كما كنت أتصور». وتكشف هذه الجملة البسيطة عن بنية معرفية عميقة؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يراجع نفسه إذا اعتقد أن تصوره للوقائع أو لذاته معصوم من الخطأ لذلك يرتبط الاعتذار بفضيلة التواضع المعرفي، أي الاعتراف بأن المعرفة الإنسانية محدودة وقابلة للتصحيح. جمع دراز بين المسؤولية والمعرفة عندما جعل من الوعي أحد شروط التكليف الأخلاقي؛ فلا مسؤولية كاملة حيث ينقضي الإدراك أو القدرة على التمييز (دراز، 1998، ص 256-275). غير أن ظهور معلومات جديدة بعد الفعل يخلق مسؤولية من نوع آخر، هي مسؤولية مراجعة الحكم السابق. فإذا ثبت للفاعل أن تصوره كان ناقصاً أو متحيزاً، فإن التمسك به بعد انكشاف الخطأ لا يعود جهلاً بريئاً، بل يتحول إلى رفض متعمد للتصحيح. يظهر البعد المعرفي أيضاً في التمييز بين «النية والأثر». فكثير من الاعتذارات تغفل لأن الفاعل يحتج بأن نيته لم تكن الإساءة، وكأن عدم قصد الضرر ينفي وقوعه. والحال أن النية عنصر مهم في الحكم الأخلاقي، لكنها ليست العنصر الوحيد؛ فقد يقع ضرر غير مقصود يوجب الاعتراف به ومحاولة إصلاحه. وتقيد فلسفة الاعتذار الحديثة بأن الاعتذار الصادق يميز بين نفي القصد ونفي المسؤولية؛ فقد تكون النية بريئة نسبياً مع بقاء واجب الاعتراف بالنتيجة. (Lazare, 2004, pp. 107–133)

يقتضي الاعتذار كذلك قدرة على سماع رواية الآخر للواقعة فالفاعل قد يمتلك معرفة داخلية بقصده، لكنه لا يمتلك وحده معرفة كاملة بأثر الفعل لذلك تكون شهادة المتضرر جزءاً معرفياً من الموقف، لا مجرد انفعال يمكن تجاهله. ويشير سميث إلى أهمية بناء سجل

واقعي مشترك قدر الإمكان؛ لأن الاعتذار يفقد معناه إذا ظل الطرفان مختلفين جذرياً حول ما حدث، ومن تضرر، وكيف وقع الضرر. (Smith, 2008, pp. 28–42) لا يكون الاعتذار، بهذا المعنى، انكساراً أمام رأي الغير، وإنما تمريناً على العقل النقدي؛ من خلال اختبار الأدلة، ومقارنة النية بالأثر، وفحص المصالح التي قد تدفع الذات إلى الإنكار، ثم تعديل الحكم عند وجود سبب كافٍ. وتخلص الباحثة إلى أن المجتمع الذي يشجع المراجعة المعرفية يهيئ شروطاً أفضل للاعتذار؛ لأن الاعتراف بالخطأ يصبح امتداداً لفضيلة التفكير، لا إدانة للقدرة العقلية.

ثالثاً: الاعتذار بين الحرية والكرامة والعدالة

ترتبط المسؤولية بالحرية لأن الاعتذار يفترض أن للفاعل مساحة من الاختيار يمكن أن يُنسب الفعل فيها إليه. ومع ذلك لا تفهم الفلسفة الأخلاقية الحرية على أنها قدرة بلا حدود؛ إذ تتدرج المسؤولية تبعاً لدرجة الوعي والإكراه والقدرة. ولذلك لا يحصل الاعتذار العادل الشخص ما لم يكن في وسعه تجنبه، كما لا يسمح له، في المقابل، بأن يستخدم الظروف ستاراً لمحو كل مسؤولية.

تُعد الكرامة من أكثر المفاهيم عرضة لسوء الفهم في ثقافة الاعتذار. ففي بعض البيئات يُفسر الاعتراف بالخطأ باعتباره تنازلاً عن الهيبة، بينما يكشف التحليل الأخلاقي أن الكرامة ليست دعوى العصمة، بل احترام الذات والآخر على أساس معيار واحد. وقد عالج الراغب الأصفهاني التواضع بوصفه وسطاً بين الكبر والضعف؛ فلا يرفع الإنسان نفسه فوق قدرها، ولا يضعها دون حقها (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 318–311). ويسمح هذا التصور بالفصل بين الاعتذار والمهانة؛ فالأول يعيد الذات إلى حد العدل، والثانية تسلبها حقاً مشروعاً.

تمنع العدالة تحويل الاعتذار إلى بديل رمزي عن إصلاح الضرر. فإذا ترتب على الخطأ حق مادي أو معنوي يمكن رده، فإن الاعتذار الذي يرفض أي شكل من أشكال الجبر يبقى ناقصاً. ويجعل لازار الإصلاح أو التعويض أحد مكونات الاعتذار المؤثر، لأنه يبرهن أن الندم تجاوز اللغة إلى تحمل النتائج. (Lazare, 2004, pp. 107–133) ويرتبط رد

الحقوق في الإطار الإسلامي بمعنى التوبة من حقوق العباد؛ وهو ما يجعل البعد الإصلاحي جزءاً من الجدية الأخلاقية، لا إضافة اختيارية.

لا تقتضي العدالة قبول الاعتذار في جميع الأحوال؛ فقد يكون الضرر بالغاً، أو يتكرر الخطأ، أو يكون الاعتذار تكتيكاً لتجنب المحاسبة. ويؤكد غريسولد أن التسامح الأخلاقي لا يساوي التساهل ولا إنكار الجريمة، وأن الشروط التي تسمح باستعادة العلاقة تختلف باختلاف طبيعة الأذى وموقف الفاعل منه. (Griswold, 2007, pp. 59–90) لذلك يجب حماية حرية المتضرر في قبول الاعتذار أو رفض المصالحة، مع بقاء قيمة الاعتراف بالخطأ في ذاتها.

توضح هذه العناصر أن الاعتذار المتزن يحفظ ثلاثة أطراف معيارية في آن واحد: حرية الفاعل بما يجعل مسؤوليته معقولة، وكرامة الطرفين بما يمنع الكبر والإذلال معاً، وعدالة العلاقة بما يربط الكلمات بإصلاح ممكن. وتستمد ثقافة الاعتذار قوتها الفلسفية من هذا التوازن.

المبحث الثالث: الأبعاد الإنسانية والحضارية لثقافة الاعتذار

يبدأ الاعتذار من ضمير الفرد، لكن آثاره تتجاوز الفرد إلى نسيج العلاقات والمؤسسات. فالمجتمع لا يعيش بالقواعد القانونية وحدها؛ إذ توجد أضرار رمزية وعلاقات ثقة لا تعالجها العقوبة وحدها. وتظهر الوظيفة الإنسانية للاعتذار في إعادة الاعتراف بالمتضرر، بينما تتمثل وظيفته الحضارية في جعل الخطأ قابلاً للمراجعة والإصلاح بدلاً من تحويله إلى صراع دائم أو ذاكرة مغلقة.

أولاً: الاعتذار والتسامح وإصلاح العلاقات الإنسانية

تظل العلاقة الإنسانية معرضة للخطأ؛ لأن الفعل يجري داخل شبكة من التوقعات والاختلافات وسوء الفهم. وقد جعلت آرنست من «لا رجعة الفعل» مشكلة أساسية؛ فما حدث لا يمكن محوه، لكن يمكن إنشاء استجابة جديدة تمنع الفعل الماضي من التحكم الكامل في المستقبل. (Arendt, 1998, pp. 236–241) ويصبح الاعتذار، من هذه الزاوية، خطوة لإعادة فتح الزمن الأخلاقي للعلاقة؛ فهو لا يمحو الماضي، بل يغير معنى التعامل معه.

يؤدي الاعتذار وظيفة ترميمية عندما يعيد للمتضرر اعترافاً افتقده لحظة الإساءة. فالضرر ليس دائماً خسارة مادية؛ فقد يكون إنكاراً للمكانة، أو إهانة، أو خيانة للثقة. ولذلك يميز لازار بين مجرد الشعور بالأسف وبين الاعتذار الذي يستجيب لحاجات المتضرر إلى استعادة الكرامة والاعتراف بأن ما وقع كان خاطئاً. (Lazare, 2004, pp. 44–74) ولا تعني المصالحة عودة آلية إلى الحالة السابقة؛ فقد يؤدي الاعتذار الصادق إلى تسامح من دون استئناف العلاقة، أو إلى علاقة جديدة بشروط مختلفة. ويبين غريسولد أن التسامح والمصالحة مفهومان متميزان؛ فقد يسقط المتضرر الرغبة في الانتقام مع احتفاظه بمسافة تحميه من تكرار الضرر. (Griswold, 2007, pp. 98–112) وتكتسب هذه النقطة أهمية في الثقافة العربية حتى لا يتحول طلب الاعتذار إلى مطالبة ضمنية بالنسيان. تُظهر الدراسات العربية الحديثة أن للاعتذار آثاراً في تطيب القلوب وتقليل البغضاء ودعم المودة. وقد توصلت الحمدان إلى جملة من الآثار الفردية والاجتماعية المرتبطة به في ضوء السنة النبوية (الحمدان، 2021، ص 186–139) وأبرز خضري إمكان تحويل قيم الاعتذار إلى تطبيقات تربوية داخل الأسرة؛ بما يعني أن الثقافة الأخلاقية تبدأ من تعلم الاعتذار بالخطأ في العلاقات اليومية، لا من الشعارات العامة (خضري، 2023، ص 35–53).

ترى الباحثة أن أهم وظيفة إنسانية للاعتذار هي إعادة «التكافؤ الأخلاقي» بين الطرفين؛ فالإساءة تضع المتضرر في موقع من وقع عليه الفعل دون اعتراف، بينما يعيد الاعتذار الإقرار بأنه صاحب حق وصوت. لذلك لا يكون الهدف إذابة الخلاف بأي ثمن، بل بناء إمكان لعلاقة أكثر صدقاً وعدلاً.

ثانياً: الاعتذار في المجال العام والمسؤولية المؤسسية

لا يقتصر الاعتذار على العلاقات الشخصية؛ فالمؤسسات والدول والجماعات قد تعترف أيضاً بأخطاء أو أضرار وقعت باسمها. غير أن الاعتذار العام أكثر تعقيداً؛ لأنه يتعلق بفاعلين جماعيين، وباستمرارية المسؤولية عبر الزمن، وبحقوق لا يكفي فيها التعبير الرمزي. ولهذا خصص غريسولد مساحة للاعتذار السياسي والمصالحة المدنية، مبيّناً أن الاعتذار

العام يمكن أن يسهم في بناء السردية المشتركة إذا اقترن بالحقيقة ولم يتحول إلى بديل عن العدالة. (Griswold, 2007, pp. 167–183)

تقدم ثقافة الفكر الإسلامي أساساً للمساءلة العامة من خلال مركزية العدل ورد المظالم ومحاسبة صاحب السلطة بوصفه مسؤولاً لا معصوماً. ولا يحتاج التحليل الفلسفي هنا إلى اختراع مفهوم «عصمة المؤسسة» أو نقيضه؛ فالمهم أن يصبح الاعتذار المؤسسي ذا معنى عندما يقر بوقائع محددة، ويحدد نوع الضرر، ويبين ما تم لتصحيحه ومنع تكراره. وهكذا تتحول المسؤولية من خطاب أخلاقي عام إلى معايير قابلة للفحص.

يُعد استخدام الاعتذار المؤسسي لإغلاق النقاش بسرعة من الأخطاء الشائعة. فالتعبيرات العامة من قبيل «نأسف لأي إزعاج» قد تؤدي وظيفة علاقات عامة أكثر من وظيفة أخلاقية إذا لم تحدد ما وقع، ومن تضرر، وما الإجراء التصحيحي. ويكشف سميث أن قيمة الاعتذار العام ترتبط بوضوح الوقائع واللوم والمبادئ المنتهكة والإصلاح؛ وهي عناصر تمنع اللغة من أن تصبح أداة للتعمية. (Smith, 2008, pp. 28–107)

يربط الاعتذار في المجال العام الثقة بالقدرة على التصحيح، لا بادعاء عدم الخطأ. فالمؤسسة التي تملك آلية للاعتراف والإصلاح قد تكون أكثر جدارة بالثقة من مؤسسة تنفي الخطأ خوفاً من فقدان صورتها. وينسجم هذا المعنى مع رؤية الجابري للقيم بوصفها معايير تتجاوز الفرد إلى السلوك الاجتماعي والسياسي (الجابري، 2001، ص 56).

تخلص الباحثة إلى أن الاعتذار المؤسسي لا يكتسب شرعيته من مكانة الجهة المعتذرة، بل من جودة الاعتراف وتناسب الإصلاح مع الضرر. وكلما ارتفعت السلطة اتسعت مسؤولية البيان والتصحيح؛ لأن أثر الخطأ العام أوسع من أثر الخطأ الفردي.

ثالثاً: معوقات ثقافة الاعتذار وآليات ترسيخها في الواقع المعاصر

تواجه ثقافة الاعتذار مجموعة من المعوقات النفسية والاجتماعية والمعرفية، ويأتي في مقدمتها تضخم صورة الذات؛ إذ يخشى الفرد أن يؤدي الاعتراف بالخطأ إلى انهيار صورته أمام نفسه أو الآخرين. وقد ربط التراث الأخلاقي بين الكبر ورفض قبول الحق؛ لأن المتكبر لا يرى نفسه في مستوى يسمح بالمراجعة. ويقدم الراغب الأصفهاني معالجة للكبر باعتباره

تجاوزاً للقدر الحقيقي للذات، في مقابل التواضع الذي يعيدها إلى ميزان واقعي (الراغب الأصفهاني، 2007، ص 311-318).

يتمثل المعوق الثاني في الخلط بين الخطأ والهوية. فإذا فهم الاعتراف بخطأ محدد على أنه حكم بأن الشخص كله «سيئ» أو «ضعيف»، صار الإنكار دفاعاً عن الهوية لا عن الفعل. ولذلك يحتاج ترسيخ الاعتذار إلى تربية تفرق بين قيمة الشخص وتقويم فعله؛ إذ يمكن نقد الفعل دون إلغاء صاحبه، ويمكن لصاحب الفعل أن يصححه دون أن يفقد كرامته. ويتمثل المعوق الثالث في غياب المهارات المعرفية واللغوية اللازمة للاعتذار. فقد بينت الدراسة التداولية للبلداوي وعبد أن الخطاب الاعتذاري يتنوع بين الصريح والضمني، ويستخدم استراتيجيات مختلفة، من بينها تحمل المسؤولية وطلب التسامح والتبرير (البلداوي وعبد، 2022، ص 36-52). وتفسر هذه النتيجة لماذا قد يظن بعض الأفراد أنهم اعتذروا، بينما يتلقى الطرف الآخر كلامهم بوصفه دفاعاً أو اتهاماً مبطناً. لذلك يحتاج التعليم الأخلاقي إلى تدريب على تسمية الخطأ بوضوح، والتمييز بين الشرح وتحويل اللوم.

أما المعوق الرابع فيتمثل في بناء المكانة الاجتماعية على عدم التراجع. فإذا ربطت الثقافة القيادة أو الرجولة أو السلطة بالثبات المطلق، يصبح الاعتذار تهديداً للمكانة؛ بينما يمكن إعادة بناء المعنى بحيث تكون القدرة على التصحيح مؤشراً على الثقة بالنفس والجدارة. وتساعد فلسفة الأخلاق في هذا التحول؛ لأنها تميز بين الثبات على المبدأ والعناد في الحكم، فالأول فضيلة إذا قام على سبب صحيح، والثاني رذيلة إذا استمر بعد ظهور الخطأ. تبدأ آليات ترسيخ ثقافة الاعتذار من الأسرة والمدرسة والجامعة، لكنها لا تنتهي عندها. فالمؤسسات تحتاج إلى إجراءات واضحة لتلقي الشكاوى وتصحيح الأخطاء، ووسائل الإعلام تحتاج إلى نماذج لغوية لا تجعل الاعتذار فضيحة في ذاته، كما يحتاج الفضاء الأكاديمي إلى ثقافة مراجعة تسمح للباحث بتصحيح القول دون أن يُعد ذلك سقوطاً معرفياً. وتري الباحثة أن أكثر الآليات فاعلية تتمثل في ربط الاعتذار بثلاثة معايير قابلة للتعليم: وضوح الاعتراف، وتحمل المسؤولية، وإجراء إصلاحي مناسب. وحين تستقر هذه المعايير، يتحول الاعتذار من شعار أخلاقي إلى ممارسة حضارية.

الخاتمة:

انطلق البحث من النظر إلى الاعتذار بوصفه مسألة فلسفية تقع في منطقة التداخل بين الأخلاق والمعرفة، وانتهى إلى أن قيمته لا تتحدد في اللفظ الذي يقال، بل في البنية التي يقوم عليها. فالاعتذار الصادق يبدأ من معرفة تعترف بإمكان الخطأ، وينتقل إلى حكم أخلاقي يحمل الفاعل مسؤوليته، ثم يظهر في موقف عملي يسعى إلى إصلاح الضرر واحترام حق المتضرر في قبول الاعتذار أو رفض المصالحة. وقد كشف تحليل التراث الأخلاقي الإسلامي أن الاعتذار يتصل بالتواضع وتهذيب النفس والتوبة والعفو والعدل، وأنه لا يقتضي إهانة الذات، بل تحريرها من الكبر ومن وهم العصمة. وأظهرت المقارنة الفلسفية أن الاعتذار يتقاطع مع قضايا الاعتراف والندم والتسامح ولا رجعة الفعل، وأن دوره الحضاري يصبح أعمق عندما ينتقل من المجال الفردي إلى ثقافة مؤسسية تعترف بالخطأ وتصححه. وبذلك، فإن بناء ثقافة الاعتذار ليس دعوة إلى التساهل، وإنما إلى مسؤولية أكثر وضوحاً، ووعي أكثر نقداً، وعدالة تربط الاعتراف بالإصلاح.

النتائج:

1. أظهر تحليل مفهوم الاعتذار أن جوهره الفلسفي هو « الاعتراف المسؤول »؛ وبذلك يختلف عن التبشير وعن مجرد التعبير عن الأسف. وتجيب هذه النتيجة عن تساؤل المبحث الأول المتعلق بالدلالة الفلسفية للمفهوم وعلاقته بالمفاهيم المجاورة.
2. تبين أن الأساس الأخلاقي للاعتذار يقوم على الصدق والتواضع والعدل وتحمل المسؤولية، في حين يقوم أساسه المعرفي على إمكان الخطأ ونقد الذات وتصحيح الحكم؛ وهو ما يفسر تكامل الأخلاق والمعرفة في المبحث الثاني.
3. اتضح أن الكرامة لا تتعارض مع الاعتذار ما دام لا يتحول إلى إذلال، وأن العدالة تمنع الاكتفاء بالكلمات متى كان الضرر قابلاً للإصلاح أو الجبر، كما تحمي حق المتضرر في عدم المصالحة القسرية.

4. كشف المبحث الثالث أن الاعتذار يمكن أن يؤدي دوراً إنسانياً وحضارياً في ترميم الثقة وإعادة الاعتراف بالمتضرر؛ غير أن فاعليته تتوقف على وضوح الخطأ وتحمل المسؤولية والإجراء الإصلاحي، سواء في العلاقات الفردية أو في المجال المؤسسي.

التوصيات:

1. إدماج ثقافة الاعتذار ضمن مقررات الأخلاق والفلسفة والتربية المدنية من خلال تدريب المتعلمين على تحليل الخطأ، وتحمل المسؤولية، والتميز بين الاعتذار والتبرير، بدل الاكتفاء بالمواعظ العامة.
2. اعتماد بروتوكولات واضحة للاعتذار المؤسسي في الجامعات والمؤسسات العامة والخدمية، تتضمن تحديد الخطأ والمتضرر والإجراء التصحيحي وضمانات عدم التكرار، كلما كان ذلك ممكناً.
3. تشجيع الدراسات الفلسفية العربية المقارنة حول الاعتذار والتسامح والاعتراف والمسؤولية، مع بناء مقاييس ومشروعات بحثية تربط بين التراث الأخلاقي الإسلامي والنقاشات المعاصرة في فلسفة الأخلاق.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب، مج4، بيروت: دار صادر.
3. ابن مسكويه، أحمد بن محمد. (1985). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. بيروت: دار الكتب العلمية.
4. الأصفهاني، الراغب، الحسين بن محمد. (2007). الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السلام.
5. الجابري، محمد عابد. (2001). العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

6. الخميس، أريج بنت إبراهيم. (2016). الاعتذار في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، السعودية.
7. خضري، حسن بن علي بن محمد. (2023). قيم الاعتذار في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، (95)، 35-53.
8. دراز، محمد عبد الله. (1998). دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين. بيروت: مؤسسة الرسالة.
9. صبحي، أحمد محمود. (1983). الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي: العقليون والذوقيون أو النظر والعمل. القاهرة: دار المعارف.
10. صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي، ج2. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
11. عبد الرحمن، طه. (2000). سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثا الغربية. الدار البيضاء/بيروت: المركز الثقافي العربي.
12. عبيدات، فادي عبد الله محمود. (2015). الاعتذار في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
13. القرعان، جهاد بن عابد بن سعد. (2017). الاعتذار في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.
14. الحمدان، منى بنت محمد. (2021). الاعتذار في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية. مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، 7(29)، 139-186.
15. البلداوي، جنان سالم محمد، وعبد، أحمد إبراهيم. (2022). الاعتذار فعلاً إنجازياً: دراسة تداولية في استراتيجيات الاعتذار الضمني في الخطاب القرآني. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، 30(6)، 36-52.
16. خليفة، عبد اللطيف محمد. (1992). ارتقاء القيم: دراسة نفسية. سلسلة عالم المعرفة، العدد 160، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

17. الجبالي، ماهر فؤاد. (2022). ثقافة الاعتذار. مجلة الأزهر، باب «في محراب العربية»، 3 نوفمبر 2022.

المراجع الأجنبية:

1. Arendt, H. (1998). The Human Condition (2nd ed.). Chicago: University of Chicago Press.
2. Griswold, C. L. (2007). Forgiveness: A Philosophical Exploration. Cambridge: Cambridge University Press.
3. Lazare, A. (2004). On Apology. New York: Oxford University Press.
4. Smith, N. (2008). I Was Wrong: The Meanings of Apologies. Cambridge: Cambridge University Press